مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات

المصدر: صباح الخير

التاريخ : ٢٠٠٤/٨/١٧

„ بعد ٣٥ سنة على صدور قرار جمال عبدالناصر "

السادات ذائبا والشافعي معتزلا!

لا يحتاج الرئيس أنور
السادات إلى دفاعى!
قدر احتياجه
إلى شهادة منصفة
وموضوعية لزعيم
أعطى مصر أجمل
سنوات عمره ودفع
حياته نفسها ثمناً
لرصاصات غادرة
اعترف أصحابها
مؤخرا بأنها كانت
خطأ وأنه لم يكن
يستحق القتل.
وللأسف فقد تحول
«السادات» فى
السنوات الأخيرة إلى
مادة للهجوم
والتجريح.
وآخر هذا الهجوم قاده
السيد «حسين
الشافعى» نائب رئيس
الجمهورية السابق فى
واقعة محددة تتعلق
بتعيين الرئيس جمال
عبد الناصر لأنور
السادات نائبا له!

رشاد كامل

فى حوار حسين الشافعى مع المذيع الأستاذ «أحمد منصور» (عبر حلقات قناة الجزيرة) وأعاد نشره فى كتاب «حسين الشافعى شاهد على عصر ثورة يوليو وصدر قبل أسبوع». قال الشافعى «الكلام الذى قيل أنه قبل سفر جمال عبد الناصر إلى الرباط فى مؤتمر القمة سنة ١٩٦٩ قيل أن هناك تنافسا وحركات، وهو يريد أن يطمئن لأنه قيل أن هناك محاولة اغتيال وغيره فهكذا قبل لمثل هذا التعيين.

هذا التعيين أصابنى بدهشة كبيرة جدا لأن جمال عبد الناصر لم يكن يثق فى أن يكل للسادات على طوال سنوات الثورة أية مهمة حقيقية لدرجة أننا ونحن فى مجلس الرئاسة ذهبت إليه وقلت له لا يصح أن نكون فى مجلس الرئاسة كلنا بدرجة نائب رئيس ما عدا فلانا وفلانا. قال لى : كيف تقول هذا؟ أتريد أن يأكل الناس وجهنا؟! ألا تعرف شكل سمعتهما فى البلد.

وعندما سأله أحمد منصور: فلان وفلان من هما؟

– قال حسين الشافعى: يكفى أن أنور السادات أحدهما؟!

ومضى الشافعى يقول والذى أدهشنى أن جمال عبد الناصر بوزنه واعتباره ومقامه كان فى حالة لا أريد القول بأنه خجلان أن يحلف اليمين أمامى لأنور السادات وهو يعلم رأيى فى أنور السادات ويعلم أنى أعلم رأيه فى السادات من الستينيات عندما قلت له: ليس من المعقول أن نكون كلنا نواب رئيس ما عدا أنور السادات.

ولم تكن هذه أول مرة يردد فيها السيد حسين الشافعى هذه الحكاية، بل رددها قبل ذلك أكثر من مرة، فقد سبق له أن قال ما يلى:

بالنسبة لظروف تعيين «أنور السادات» نائبا فقد كان ذلك فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٩٦٩ وهو نفس اليوم الذى سافر فيه جمال عبد الناصر للعلاج فى روسيا.

(لاحظ أن كل الشهادات تؤكد أن عبد الناصر كان فى طريقه إلى المغرب) وأنا كنت الوحيد الذى حضر حلف السادات لليمين وأتحدى أن تكون هناك صورة واحدة لأنور السادات وهو يحلف اليمين وقد تم ذلك

بصورة كما لو كان معروضا عليه، مفروضا بالقوة لقد حلف أنور السادات اليمين فى منزل عبد الناصر بمنشية البكرى دون حضور أى إنسان غير «حسين الشافعى». وكان وقتها عبد الناصر فى شدة الخجل منى! لدرجة أنه توارى حتى لا تقع عيناه فى عينى.

لأننى كنت قد فاتحته عام ١٩٦٤ فى تعيين أنور السادات نائباً فاعترض بشدة!

وما أغرب وأعجب ما يقوله السيد «حسين الشافعى» بعد ذلك وهو قوله:

وأكثر الناس كانوا سعداء بذلك هم «على صبرى» ومجموعته الذين كانوا يقبلون بعضهم فى المطار حينما سمعوا الخبر، وكانت سعادتهم تأتى من اعتقادهم بأنهم سوف يسيطرون على أنور السادات، ويسيرون المركب تبعاً لرغبتهم، ولكنها انقلبت عليهم».

انتهت الشهادة الغريبة للسيد «حسين الشافعى» والتى سجلها له الكاتب الصحفى «صلاح الإمام» فى كتاب «حسين الشافعى وأسرار ثورة يوليو وحكم السادات الذى صدر عام ١٩٩٣».

وصباح يوم الأربعاء ١٤ أكتوبر ١٩٧٠ نشرت الأهرام كلمة تحت عنوان «صوت عبدالناصر» جاء فيها:

«إن بطل الأمة العربية الخالد أعطى صوته حقيقة الأمر لأنور السادات.. وذلك باختياره له نائبا لرئيس الجمهورية، وفى الظروف التى اختاره فيها لهذا المكان.. إن عبدالناصر اتخذ قراره فيما يتعلق بتعيين أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية فى الساعة السابعة من الصباح الباكر يوم السبت ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩.

كان عبدالناصر يومها فى طريقه إلى الرباط لحضور مؤتمر القمة العربى، وليلة السفر قرأ عبدالناصر مجموعة من التقارير وكانت كلها تشير إلى أن هناك محاولة ضد حياته، رتبتها بعض أجهزة المخابرات الأجنبية التى تريد أن تتخلص منه ومن دوره وتأثيره على الأمة العربية، وفكر عبدالناصر طول الليل - كما قال هو بعد ذلك - فكر فى الوطن واستمراره ولم يفكر فى نفسه وما قد يتعرض له.. وفى الساعة الخامسة صباحا كان قد استقر رأيه

على أن يعين «أنور السادات» نائبا لرئيس الجمهورية. وفوجئ أنور السادات فى الساعة السابعة والنصف بتليفون يدعوه إلى الذهاب إلى بيت الرئيس. وكان المفروض طبقا للترتيبات السابقة أنه سيلقاه فى المطار بين المودعين قبل السفر.

وذهب أنور السادات إلى بيت الرئيس وهو لا يعرف سبب دعوته فى الصباح الباكر وفوجئ بالرئيس يقول له:

إنك سوف تقسم اليمين أمامى الآن نائبا لرئيس الجمهورية!

ودهش أنور السادات وأقسم اليمين أمام الرئيس فى الثامنة من الصباح ولم تكن هناك مراسم ولا كان هناك حتى مصور لالتقاط صورة لحلف اليمين.

وقالت الأهرام فى نهاية الكلمة: «من هنا نستطيع أن نقول بشكل ما أن بطل الأمة العربية وقائدها باختياره وبالظروف التى أجرى فيها هذا الاختيار أعطى صوته لأنور السادات».

كانت الكلمة بنصها وكلماتها وصياغتها ومفرداتها من صياغة الأستاذ الكبير محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام ووزير الإرشاد القومى وصاحب العلاقة والصداقة الفريدة مع جمال عبدالناصر.

وفى كتابه «لمصر لا لعبدالناصر» يقول هيكل فى مقال له عنوانه «الحكم القائم فى مصر الآن وقضية عبدالناصر» يقول: لم يكن أنور السادات شخصا عاديا فى نظام عبدالناصر ويكفى أن نتذكر المسئوليات والمناصب التى تولاها من عضو فى مجلس الثورة إلى رئيس لمجلس الشعب إلى نائب لرئيس الجمهورية.. (ص٤٠).

ويضيف: لقد كان أنور السادات هو الرئاسة الثانية دستوريا فى مصر بعد عبدالناصر بحكم رئاسته لمجلس الشعب معظم سنوات عهد عبدالناصر. وحين ترك رئاسة مجلس الشعب فقد ولى بعدها منصب نائب رئيس الجمهورية. وهو الرئاسة الثانية عمليا فى أواخر عهد عبدالناصر. (ص٤١).

لكن يختلف الأمر تماما عندما روى هيكل شهادته عن نفس الواقعة فى كتابه «خريف الغضب» ابتداء من صفحة ٨٥ حيث يقول:

كان بيت السادات فى الهرم هو المكان الوحيد الذى يستطيع جمال عبدالناصر أن يذهب إليه لكى يقضى فيه - بين حين وآخر - ساعات مع صديق له لم يكن يضغط على أعصابه بإثارة مناقشات سياسية أو عسكرية ملحة.

كان طبيعيا على هذا الأساس أنه حين تعرض «عبدالناصر» للنوبة القلبية الأولى فى سبتمبر سنة ١٩٦٩ أن يضع «السادات» على رأس لجنة تضم بعض القريبين منه وتتولى تسيير شئون الدولة فى غيابه، وعلى أى حال فإن هذه اللجنة لم يقدر لها أن تباشر عملا حقيقيا!! فما لبث «عبدالناصر» أن نسى نوبته القلبية وعاد يمارس شواغله ومسئولياته!

ويكمل «هيكل» بقية ما جرى فيقول:

وفى ديسمبر سنة ١٩٦٩ كان على «عبدالناصر» أن يشارك فى أعمال مؤتمر القمة العربى الذى عقد فى ذلك الوقت فى الرباط بالمغرب وأتذكر أننى كنت معه فى هذه الرحلة، وعندما دعانى إلى الجلوس بجانبه بعد إقلاع الطائرة كما كان يفعل دائما، فإنه أشار إلىّ بالجلوس وعلى وجهه ابتسامة وفوجئت به يقول:

هل تعرف ماذا فعلت اليوم؟!

ولم أكن أعرف وقال لى:

كان أنور السادات سيمر علىّ لكى يصحبنى إلى المطار وطلبت منه أن يجئ بمصحفه ولم يفهم ماذا عنيت بهذا الطلب، وعندما جاء فقد جعلته يقسم اليمين ليكون نائبا لرئيس الجمهورية فى غيابى!!

وفى هامش الكتاب يوضح هيكل: بالطبع كانت هناك مصاحف فى بيت جمال عبدالناصر بل إنه كان هناك على الدوام مصحف بجوار سريره ولكن جمال عبدالناصر تصور أن طلبه إلى أنور السادات بأن يجئ معه بمصحفه سوف يكون رسالة يفهم منها السادات أن هناك حلف يمين ينتظره.

انتهى الهامش ونعود لباقى رواية هيكل الذى يقول شارحا ومفسرا:

وأبديت دهشتى وسألت عن السبب الذى دعاه إلى ذلك، ومد جمال عبدالناصر يده إلى ملف كان قد وضعه أمامه على المائدة فى الطائرة وسحب منه عدة أوراق ناولها لى ثم قال: اقرأ هذه البرقيات!

وكانت الأوراق عددا من البرقيات الشفرية أرسلتها مجموعة المقدمة التى سبقت الرئيس إلى الرباط لإعداد الترتيبات الإدارية اللازمة لإقامته ولعمله أثناء انعقاد مؤتمر القمة وكان بينها برقية بتوقيع سكرتير عام رئاسة الجمهورية ورئيس مجموعة المقدمة (لم يشر الأستاذ هيكل إلى اسم أى منهما!!) تقول: إن هناك معلومات متداولة فى بعض الأوساط السياسية فى المغرب بأن الجنرال «محمد أوفقير» وزير الداخلية المغربى يتعاون مع وكالة المخابرات المركزية الأمريكية فى محاولة لاغتيال «جمال عبدالناصر» أثناء وجوده فى المغرب، وفرغت من قراءة البرقية بكل تفاصيلها والتفت إلى الرئيس مستوضحا وقال هو:

إننى كثيرا ما أتلقى مثل هذه المعلومات، ودائما يثبت أنها شائعات بلا أساس لكن ظروفنا الآن لا تحتمل أى فراغ ولقد فكرت فى إنه إذا فرض وصدقت المعلومات هذه المرة وحدث شىء فإن أنور يصلح لسد الفترة الانتقالية، إن الاتحاد الاشتراكى والقوات المسلحة سوف يواصلان تحمل المسئوليات الفعلية، وفى فترة الانتقال فإن دور أنور سيكون شكليا!!

ثم أضاف عبدالناصر: إن الآخرين جميعا واتتهم الفرصة ليكونوا نوابا لرئيس الجمهورية إلا أنور.. ولعل دوره الآن!

ثم أضاف مرة أخرى قوله: وعلى أى حال فهى فترة أسبوع على أرجح الأحوال، ويعلة هيكل قائلا على ما قاله عبدالناصر: فقد علمته التجارب من قبل أن كل هذه التقارير عن مؤامرات الاغتيال مبالغ فيها، وقد رأى منها الكثير.

لكن الأغرب من كل ذلك والأكثر إثارة للدهشة واستفزازا للعقل قوله:

كانت الشهور التسعة من مؤتمر القمة فى الرباط ديسمبر ١٩٦٩ إلى رحيل جمال عبدالناصر ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ فترة حافلة بالأحداث (ص٨٦) وبكل الشواغل التى ألحت على العمل الوطنى فإن وضع «أنور السادات» كنائب للرئيس كان قضية منسية حتى وإن كان قد خطر للبعض بمن فيهم عبدالناصر نفسه أن الأمر قابل لإعادة النظر فيه، وهكذا بقى «أنور السادات» فى مكانه حتى تلك اللحظة الحزينة (ص٩١).

يقول السيد «أحمد كامل» رئيس المخابرات فى مذكراته:

«كان مرض «عبدالناصر» الذى اشتد عليه فى أيامه الأخير يبدو بمثابة إنذار واضح، ولذلك أخذ عبدالناصر قراره بتعيين السيد «أنور السادات» نائبا لرئيس الجمهورية».

ولقد برز وضع أنور السادات قبل ذلك بشهور قليلة خاصة بعد تنحية «على صبرى» من أمانة اللجنة السياسية للاتحاد الاشتراكى والتى تولاها أنور السادات.

وبعد تعيين السادات أمينا للعمل السياسى بدأ حركته حيث كنت أيامها محافظا للإسكندرية وكان دائب الاتصال بى كما كانت لقاءاتنا مفتوحة وواضحة وأصبح مكتب أنور السادات فى الاتحاد الاشتراكى مكتظا بالحركة.

وتبدو على حركته سيماء النجاح لقد كان أنور السادات يتحرك حركة واسعة فى شكل لقاءات شعبية بتعليمات من جمال عبدالناصر، أما السيد حسين الشافعى فقد كان عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا يحضر اجتماعاتها وينتهى دوره خارج هذه الاجتماعات، ولقد أصابت المسئوليات التى وضعها جمال عبدالناصر على عاتق أنور السادات فى هذه الفترة السيد حسين الشافعى بالحنق الشديد وأراد أن يوصل إحساسه إلى جمال عبدالناصر بأقصر الطرق فاستدعى «سامى شرف» إلى مكتبه وقال له:

إن الرئيس عبدالناصر لم يعد يعطى الناس أقدارها واستحقاقاتها وأن من حوله للأسف

يؤثرون عليه!

وكان حسين الشافعى - حسب شهادة أحمد كامل رئيس المخابرات الأسبق - يدرك أن سامى شرف لن يحتفظ برسالته لنفسه وإنه سينقلها بنصها إلى جمال عبدالناصر خلال دقائق حتى لو قيلت له فى معرض حديث يبدو عابرا أو تعبيرا عن ضيق مؤقت.

ولقد نقل سامى شرف فى مساء نفس اليوم وفى أعقاب اللقاء نص ما قاله حسين الشافعى وكانت النتيجة أن جمال عبدالناصر قرر أن يرد على الرسالة عمليا بتعيين أنور السادات نائبا له، وأن السادات حلف اليمين فى الصباح قبيل مغادرة عبدالناصر إلى موسكو (الصحيح إلى المغرب) بل والأغرب من ذلك أن قرار تعيين أنور السادات نائبا للرئيس كان قد وقع فى الصباح الباكر وقبل أن يحلف نائب الرئيس اليمين القانونية بالفعل.

ويرصد د. منصور فايز «الطبيب الخاص للرئيس جمال عبدالناصر» (١٩٦٣ - ١٩٧٠):

«بعد اختفاء عبدالحكيم عامر من حياة جمال عبدالناصر لم يبق إلى جواره سوى أنور السادات وحسين الشافعى وعلى صبرى وكان أنور السادات أقربهم إلى جمال عبدالناصر.

وكان أنور السادات شديد الاهتمام بالحالة الصحية لجمال عبدالناصر وكثيرا ما كان جمال عبدالناصر يطلعنى على أدوية أشار عليه أنور السادات باستعمالها.

وأذكر حينما كنا فى طرابلس أن قال لى جمال عبدالناصر:

شوف بقى اللى حيجرالك من أنور لما نرجع مصر؟!

ولما سألته عن السبب قال لى: أنور لاحظ فى الصورة أننى لم أكن مرتديا البالطو وكان الجو باردا وقال بس لما أشوف الدكتور منصور!!»

وفى الوقت نفسه - مازال الكلام للدكتور منصور فايز - كان «جمال عبدالناصر» يعتمد على أنور السادات فى حضور اجتماعات

الاتحاد الاشتراكى وكان أنور السادات مرحبا بذلك وبمرور الوقت بدأ أنور السادات يملأ الفراغ الذى تركه عبدالحكيم عامر، وقبل سفر جمال عبدالناصر إلى الرباط فى ديسمبر ١٩٦٩ لحضور مؤتمر القمة العربى أصدر قرارا بتعيين أنور السادات نائبا لرئيس الجمهورية!

كان الولاء الذى يظهره السادات لعبدالناصر لا حدود له بل ما كان «عبدالناصر» ليجد ولاء عند أى إنسان عرفه، مثل ما توهم من ولاء السادات له. والأمثلة التى عايشتها كثيرة وشاملة.

ولعل أغرب الشهادات فى هذا الصدد هى شهادة السيد «سامى شرف» سكرتير الرئيس الراحل عبدالناصر للمعلومات.

جاءت شهادته ضمن الحوار الطويل الذى كان قد أجراه معه الصحفى الكبير الأستاذ «عبدالله إمام» وصدر فى كتاب «عبدالناصر كيف حكم مصر».

كان عبدالله إمام يسأل عن سر اختيار عبدالناصر للسادات نائبا له؟ وجاءت إجابة سامى شرف تقول:

السادات كان عضو مجلس الثورة الوحيد الذى لم يتول منصبا رسميا وكانت تنقص مدة خدمته سنة حتى يستحق معاش نائب رئيس جمهورية ولكن جمال عبدالناصر كان مصرا على التغيير وفقا لتنفيذ بيان ٣٠ مارس بحيث يعطى الفرصة لجيل جديد للقيادة!!

لكن أنور السادات عين بعد برنامج ٣٠ مارس!!

سامى شرف: عين نعم ولكن لماذا؟ من أجل أن يكمل سنة نائب رئيس جمهورية ليستحق معاش نائب رئيس جمهورية! ولو لم يكن السبب إنسانيا وعاطفيا من قبل جمال عبدالناصر إزاء أنور السادات فكان الأجدر أن يعين زكريا محيى الدين نائبا للرئيس وهو الشخص الذى اختاره عندما قرر التنحى عام ١٩٦٧.

انتهى كلام السيد «سامى شرف»!

أما شهادة السيد «عبدالمحسن أبوالنور» والتى جاءت فى مذكراته «الحقيقة على ثورة ٢٣ يوليو» فيقول فيها (ص٢٦٧):

فوجئت مع كل المسئولين بتعيين عبدالناصر لأنور السادات نائب رئيس جمهورية بل والنائب الوحيد مما خلق علامة استفهام كبيرة وخصوصا أن عبدالناصر أعلن بعد النكسة وبعد رجوعه عن قرار التنحى بأنه عند إعادة تشكيل الحكومة فإنه لن يكون هناك منصب لنائب رئيس الجمهورية حتى إزالة آثار العدوان وفعلا لم يعين أحداً حتى زكريا محيى الدين، أو حسين الشافعى أو على صبرى فى هذا المنصب بل كلهم عينوا وزراء.

■■

وفات على جميع الشهود أن عبدالناصر سبق أن أصدر القرار رقم ٦٧٢ لسنة ١٩٦٤ بتعيين أنور السادات نائباً لرئيس الجمهورية، أى قبل خمس سنوات تقريباً من قرار ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩.

ولن ينتهى الخلاف حول القرار ! ■■